

سيف القدس والتخابر من المسافة صفر



الخميس 3 يونيو 2021 08:08 م

كتب: جمال نصار:

لا شك أن عملية سيف القدس التي انطلقت من غزة للرد على انتهاكات جنود الاحتلال الإسرائيلي على المسجد الأقصى، والمقدسيين في القدس، وعلى تهجير أهالي حي الشيخ جراح؛ كان لها أبلغ الأثر لردع العدو الصهيوني وإيقافه عند حده، وأعطت للمقاومة اليد الطولى في التأثير على المشهد السياسي العام في فلسطين. ومن جانب آخر أحييت هذه العملية، القضية الفلسطينية مرة أخرى في قلوب وعقول المسلمين الذين يشتاقون لتحرير المسجد الأقصى من دنس الصهاينة. وفي ذات السياق حرّكت تلك العملية الغرب وعلى رأسه الولايات المتحدة الأمريكية للسعي لوقف إطلاق النار بين الجانبين، لما رأوه من وصول صواريخ حماس والجهد الإسلامي إلى مدى لم يتوقعه أحد، حيث زلزلت أركان الاحتلال الإسرائيلي في مناطق غلاف غزة، وما بعدها. فكانت الإشارة لمصر وقطر لكي يقوما بالدور الفاعل في وقف العمليات العسكرية بين الجانبين (المقاومة الفلسطينية والاحتلال الإسرائيلي).

المقاومة تقود العملية السياسية بعد الانتصار في ميدان المعركة لقد أفقدت عملية سيف القدس الاحتلال الإسرائيلي عنصره المفاجأة والمبادرة، وأحدثت هزة كبيرة في نظريته الأمنية، فتداعيات هذه الجولة شملت معظم عناصر النظرية الأمنية الإسرائيلية، كالردع، والحرب الاستباقية، والقتال داخل فلسطين المحتلة، والتنبؤ الاستراتيجي، وتماسك الجبهة الداخلية.

وقد استطاعت المقاومة الفلسطينية أن تثبت للاحتلال ألا وجود لمعادلة ردع استراتيجي أو تكتيكي، وعاجلته بالاستعداد للدخول في مواجهة قتالية، وبدأت الجولة بقصف مواقع في القدس المحتلة، والعديد من المستوطنات. كما عجز الاحتلال عن التنبؤ بقرار المقاومة في غزة، وطبيعة وحجم قدراتها العسكرية، بما في ذلك مدى الصواريخ وأعدادها. ورافقت هذه الجولة هبة شعبية فلسطينية في مدن الداخل المحتل، التي يعتبرها الاحتلال جزءاً من جبهته الداخلية. واستطاع الفلسطينيون تقديم نموذجاً لحالة الاستنزاف التي قد يخضع لها الاحتلال بتعدد ساحات المواجهة معه في كل فلسطين المحتلة. كما شكلت هذه المعركة تغييراً جوهرياً لقواعد الاشتباك بين الاحتلال والمقاومة الفلسطينية. حيث قررت المقاومة في غزة، بشكل واضح، أن يأتي ردها على اعتداءات الاحتلال في القدس والضفة الغربية، والاستجابة لهتافات المقدسيين، وأهالي الضفة لقيادة المقاومة في غزة بضرورة التدخل.

وقد أظهرت هذه الجولة أن هناك تحولات بنوية وفكرية لدى الفلسطينيين، وتأثير ذلك على الشباب الفلسطيني في القدس والضفة الغربية على وجه الخصوص، يتجاوز تقديرات أجهزة الاحتلال الأمنية. وأدت الانتصارات التي حققتها المقاومة في قضية القدس، وحي الشيخ جراح، والعدوان على غزة؛ لتنامي المساندة والتعاطف والتأييد على مستوى الفعاليات الشعبية والنقابية الدولية، وأظهرت الاحتجاجات الواسعة في عواصم عالمية حجم تنامي التعاطف مع الفلسطينيين التي تجاوزت رواية الاحتلال الكاذبة.

كل ذلك جعل من المقاومة الفلسطينية الباسلة امتلاك زمام المبادرة السياسية، وهذا ما عبّر عنه رئيس المكتب السياسي لحركة "حماس" إسماعيل هنية بقوله: إن معركة "سيف القدس" طوت مراحل كثيرة، وفتحت الباب أمام مراحل جديدة، وقفزة نوعية على طريق الصراع، وأن كل صناع القرار داخل العدو والمتابعين في المنطقة وخارجها سيقروؤن ما حققته المقاومة، وأن هذا نصر مركب على المستوى الوطني الفلسطيني والأمة العربية والإسلامية وعلى مستوى المجتمع الدولي، وأن المقاومة أسقطت صفة القرن (خطة السلام الأمريكية للشرق الأوسط)، ومشاريع التوطين والتطبيع مع الاحتلال، وثقافة الهزيمة والتعايش مع الاحتلال. كما شدد على أن المقاومة اليوم اشتد عودها، وهي تعرف طريقها ولديها إرادة حديدية وإيمان عميق بتحتمية النصر، مؤكداً أن المقاومة لها قضية وطنية وهي تحرير فلسطين والأسرى، والعودة.

أسباب التحرك المصري للتهدة في غزة الانتصار الذي حققته المقاومة الفلسطينية في غزة على العدو الصهيوني، دفع بالقاهرة للتحرك بشكل مكوكي للقاء قيادة "حماس"

والجهاد الإسلامي في غزة، ولقاء نتنياهو في فلسطين المحتلة، ورئيس السلطة الفلسطينية في رام الله، ثم العودة مرة أخرى إلى غزة يوم الإثنين الموافق (2021-5-31) بوفد أمني مصري رفيع المستوى، على رأسه عباس كامل رئيس المخابرات العامة المصرية، ولعله يكون في نهاية الأسبوع الأول من يونيو/حزيران 2021 لقاء مع قادة الفصائل الفلسطينية في القاهرة، بحضور رئيس السلطة الفلسطينية محمود عباس، للاتفاق على خطوات إنهاء الانقسام ووضع خريطة طريق للمرحلة المقبلة، ولتثبيت وقف إطلاق النار، وإعادة الإعمار، حسب التصريحات المعلنة

والمتمثل في الدور المصري الأخير تجاه غزة يرى تحولاً غريباً، فبعد أن كانت "حماس" مصدرًا للإرهاب بالنسبة للقيادة المصرية، والتي اتهمتها سابقاً بفتح السجون، وتهريب المساجين أثناء ثورة الخامس والعشرين من كانون الثاني (يناير) 2011، وسُجن الرئيس المصري المنتخب محمد مرسي، يرحمه الله، والعديد من قيادات جماعة الإخوان المسلمين، بتهمة التخارب مع "حماس"، إذ بنا نرى على غير العادة، الإعلام الحكومي المصري ينتفض، ويقوم بتغطية مفتوحة لأحداث الحرب في غزة، مع استخدام كلمات ذات وقع مختلف عما سبق في الصحافة المصرية أثناء تغطية الصراع بين المقاومة و(إسرائيل)، أبرزها ما جاء في صحيفة "الأهرام" القاهرية التي وصفت (إسرائيل) بالاحتلال، ووصفت "حماس" بالمقاومة، وتزامن معها تصعيد دبلوماسي غير معتاد لوزير الخارجية المصري سامح شكري الذي وصف ما يجري في الأراضي الفلسطينية بالعدوان

وقد دخلت مؤسسات أخرى على الخط، مثل الأزهر الشريف، بالخطبة التي ألقاها الدكتور أحمد عمر هاشم، عضو هيئة كبار العلماء، من فوق منبر الجامع الأزهر خطبة دعا فيها لاستنفاً عربي مسلم لانتراع القدس ووقف الاستيطان بالقوة وانتشرت تسريبات بأن تعليمات سيادية مباشرة صدرت من جهاز المخابرات لوسائل الإعلام بتكثيف تناول التصعيد الإسرائيلي، وعدم التعرض لحركة "حماس" بالانتقاد أو الهجوم، وانتهاج خطاب إعلامي يستند إلى أن (إسرائيل) هي من بادرت بالعدوان، وأن ما فعلته المقاومة هو رد فعل وفي السياق نفسه، تعهد عبد الفتاح السيسي بتقديم نصف مليار دولار مساعدات لإعمار غزة، وسهّلت السلطات المصرية حركة بعض الأطباء وعربات الإسعاف إلى قطاع غزة عبر معبر رفح، واستقبال المصابين في حدث وصفته "القناة الأولى" الحكومية بأنه تضامن مع الشعب الفلسطيني

ويبدو أن هذا التحول غير مسبوق في الموقف المصري، ولو على المستوى الإعلامي، مقارنة بما جرى في أثناء حرب 2014، حيث استغلّت القاهرة حينها ورقة إغلاق المعبر للضغط على "حماس" كي تقبل بشروط (إسرائيل) لوقف إطلاق النار ولم تفلح الحركة في إقناع نظام السيسي، في أشد لحظات عدائه معها، بفتح المعبر إلا بعد مناشدات طويلة

فهل يمكن اعتبار كل هذه الجهود التي تبذلها مصر من أجل نصرته القضية الفلسطينية؟ وهل يمكن وصف القاهرة بالوسيط المحايد بين طرفي النزاع؟ وهل تهدف مصر من خلال هذه الجهود لاستعادة دورها المركزي في الملف الفلسطيني؟ وهل التحرك المصري نتيجة لتغير موقف الإمارات، تجاه المصالح المصرية في مياه النيل، إذ كانت أبوظبي إحدى الدول العربية التي لم تدعم موقف مصر والسودان من أزمة سد النهضة، وأيضاً تقارب الإمارات مع (إسرائيل) للإضرار بمصالح مصر في قناة السويس، بعمل مسار بديل لتصدير الغاز الإماراتي لأوروبا عن طريق (إسرائيل)؟

وهل حرب غزة تمثل بالنسبة للقاهرة صندوق بريد لإرسال رسائل متعددة للإماراتيين عرباى التطبيع، والأمريكيين، والإسرائيليين، وحتى الأوروبيين، والسلطة الفلسطينية بأنه لا يمكن الاستغناء عن القاهرة؟

لعل التطورات في الأيام المقبلة تكون كفيلاً برسم الصورة كاملة عن التحركات المصرية، على المدى القصير الذي ربما ارتبط بعدم رضا القاهرة عن موجة التطبيع الخليجي، أم أنها إشارة لتحوّل طويل الأمد مرتبط بتغيرات استراتيجية تفرض على القاهرة الإبقاء على مسافة فاصلة بينها وبين دولة الاحتلال

وفي النهاية أتمنى على المقاومة الفلسطينية استثمار الزخم الدولي حول فلسطين، والتأييد العربي والإسلامي الشعبي الداعم للقضية الفلسطينية لتحقيق مكاسب سياسية على الأرض، وأن تعي طبيعة العمل السياسي الذي يحتاج إلى كثير من الدهاء للتعامل مع الخيوط المتشابكة، والمصالح المتصارعة في المنطقة وانتصروا أن تحرك القاهرة لم يكن لعيون غزة والمقاومة، ولكن القرار المصري بالتدخل للتهديّة بين المقاومة والاحتلال الإسرائيلي، والإعمار في غزة، أظن أنّ له مآرب أخرى، وسيُضح في الأيام المقبلة أهداف هذا التحرك